جَوَانبُ أُسَريّة في قصَّة مُوسَى عَليه السَّلام
دراسةٌ في القُرآن الكريم

إعداد

الأستاذ عُمر بن صالح كْنِيَش

قسم: الكتاب والسنة - كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة - الجمهورية الجزائرية

ملخَّصُ البَحث

هَدَفت هذه الدِّراسة إلى الكشف عن الجوانب الأسريَّة المتضمنة في قصَّة مُوسى عليه السَّلام، وسَعَت إلى الإفادة من توجيهاتها والاعتبار بها في واقع المسلمين اليوم. وقد قمتُ باستقراء النُّصوص القرآنية الواردة في هذه الجوانب معَ تحليلها ومُقارنتها. وتوصَّلتُ إلى نتائجٍ منها: أنَّ القرآن الكريم يهتمّ في سياق هذه القصَّة بالنِّظام الأسريّ، وأنَّ هذا الاهتمام يطرُقُ جوانب منها ما يتعلق بأحكام الزَّواج، وأُسس بناء الأسرة، والعلاقات بينَ الإخوة، وبرِّ الوالدين، والحوار الأسريّ، وغير ذلك، كما يلفتُ القرآن خلالَ ذلك إلى رُكنية الإيمان والأخلاق في قيامِ الأُسر واستمرارِها.

الكلمات المفتاحية: جوانبٌ أسرية، قصَّة مُوسى، القَصَص القرآنيّ، القُرآن الكريم.

Abstract

This study aimed to reveal of the aspects of family which are embodied in the story of Moses (peace be upon him), and sought to get the benefit from its guidance and consideration in the reality of Muslims today. The researcher has extrapolated Quranic texts contained in these aspects with analysis and comparison, and came to following conclusions: in the context of this story, the Quran is interested in the family system. This interest tackles aspects related to the rules of marriage. Moreover, this story sets rules for family building, relations between brothers, obedience to the parents, family dialogue, and so on. Furthermore, through the story of Moses, the Quran prerequisites faith and morals in family building and its continuity**.**

Key Words: Family aspects, the story of Moses, the Quranic stories, the holy Quran**.**

المُقدّمة:

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، نبينا محمَّدٍ وآله وصحبِهِ ومن اتَّبع هديه إلى يوم الدين، وبعدُ:

فتُعد قصَّة موسى -عليه السلام- أكثر قصص الأنبياء ذكرًا في القرآن الكريم(١)، وقد حَمَلت من الأحكام المنهجية الأساسيّة في مناحي الدين والدنيا؛ سياسيًّا وتربويًّا واجتماعيًّا وحضاريًّا الشَّيء الكثير، الأمر الذي يدفع إلى تدبرها والعناية بها؛ لأجل الاستفادة منها في الفِكر والسُّلوك الإسلامي خاصَّة والإنسانيّ عامَّة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ولم يكن موضوعُ الأسرة عرضًا ثانويًا في هذه القصَّة، فإنَّ موسى نفسَه قد دعا بني إسرائيل إلى ذلك الأساس المنهجي الذي تصلح به الأسر، وهو التَّوجهُ إلى ربِّ العالمين: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].

وهذا يعني أنَّ الأسرة والدَّعوة في منهجهما سياقٌ واحدٌ، وأنَّه لم يقارع فرعون وهامان وقارون بمعزلٍ عن تهذيب الأفراد وإصلاح الأسر، ولم يرتضِ سُلوك فرعون الطَّائفي، وقتله الأطفال واستحيائه النساء، وذاك شأنٌ أسريٌّ خالصٌ.

وكما حرص موسى -عليه السلام- وأخلص في تهذيب القيم الأسريّة وإرسائها، حرصَ هو بنفسه وأسرته أن يكونوا نموذجًا ومثالاً يُحتذى في المودَّة والرَّحمة والصَّبر الجميل والتَّعاون.

وإذا كانت هذه الجوانبُ الأسرية في قصَّة موسى، قد تأتي في لفظٍ، أو عبارة موجزة أو جملة، قد لا يتنبه القارئ لدلالتها على ذلك، فإنَّها قد تأتي أيضًا في صورةٍ عمليةٍ وسلوكيةٍ ، وهذا ما سنركِّز عليه أيضا ونتناوله.

مُشكلة البَحث:

مشكلةُ البحث تتركز في استفهام تلك الجوانب الأسريَّة المتضمنة في قصّة موسى -عليه السلام-، هل تأتي ضمن السياقات التفصيلية غير المقصودة أم هي أساسيات اعتبارية تتقعد

(١) ينظر الملحق الإحصائي في آخر هذا البحث.

كمحدِّدات ضرورية للمنهج الدَّعوي التَّوحيدي في القرآن الكريم؛ بحيثُ تمثل الدَّعوة والأسرة منهجٌ واحدٌ؛ ومن جهة أخرى استفهام مدى حضور هذه الجوانب كأحكام تشريعية مرجعية وليس مجرد مُرتجعات تاريخيَّة لدى الفرد المسلم، وتتفرع عن ذلك الأسئلة الآتية:

أسئلةُ البحث:

– ما أهمّ الجوانب الأسريّة –نظريًا وتطبيقيًا– في قصَّة موسى عليه السلام؟ وما أبعادها؟ وكيف وظفها القرآن الكريم؟

يتفرع عن ذلك ما يلي:

– ما تفصيلات هذه الجوانب فيما يتعلق بالوالدين (الأم)، وبالإخوة، والعلاقة بالأهل، والقضايا الأسرية ذات الصلة؟

– كيفَ يمكنُ للمسلم أن يعتبر من هذه الجوانب ويستفيدَ منها، في سياق اعتباره العام بالقصص القرآنيّ؟

أهدافُ البَحث:

يهدف هذا البحثُ إلى:

– الكشف عن الجوانب الأسريّة المتضمَّنة في قصَّة موسى عليه السلام ومتعلقاتها المختلفة.

الدّلالة على اهتمام القرآن الكريم على لسان الأنبياء وفي أعمالهم بمقصد التربية الأسريّة، سيَّما وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

– الاستفادةُ من أصول التَّوجيهات الأسريّة والأحكام والتشريعات الواردة في هذه القصَّة والاعتبار بها بالنسبة للمسلم المعاصر.

– الإبانة عن طبيعة الوضع الأسريّ في فترةٍ متقدمةٍ من فترات التاريخ الإنساني.

أهميَّةُ البحث:

تظهر أهمية هذا البحث من خلال الآتي:

– الإسهام في تجلية تلك الجوانب الخفية في قصَّة سيِّدنا موسى –عليه السلام–، بعيدًا عن التأريخية السِّلبية.

– معرفة هذه الجوانب الأسرية من خلال هذه القصة المحورية، مما يؤكد الوعي الأسري ويعززه.

– تقديم توجيهات عملية (تربوية، أخلاقية، اجتماعية) مختلفة، يمكن أن تحد من التأثير الايديولوجي الغربي الذي يستهدف مقومات الأسرة المسلمة.

حُدود البَحث:

أما حدود هذا البحث فهي قص أثر تلك الجوانب، وإبرازها وتحليلها، سواءٌ في ذلك الجوانب التنظيرية العامة أو الجوانب التطبيقية. فالدِّراسة حصرًا تتعلق بالجوانب الأسريّة في قصّة موسى عليه السلام.

مَنهجُ البَحث:

اعتمدتُ في هذا البحث مجموعة من المناهج البحثية المناسبة لهذا النوع من الدراسات، وهي:

المنهج الاستقرائيّ: وقد قمت من خلاله بجمع المادة العلمية وحصر جزئياتها من خلال قصة موسى في القرآن الكريم.

المنهج التحليليّ الاستنباطيّ: الذي يتم بموجبه النظر في عناصر موضوع ما وفحصه، تمهيدا لفهمه والحكم عليه، وهنا قد أستعين بكتب التفسير أو الفقه أو اللغة، وقد أحلِّل تحليلًا يقوم على المبادئ المنطقية العقلية.

المنهج المقارن: وذلك لمقارنة بعض الأحكام الواردة في هذه القصة بأحكام الشريعة الخاتمة.

إجراءاتُ البحث:

وتتضمن على وجه الخصوص الملاحظة وتحليل مضمون الحدث ومكوناته نسقيًا وسياقيًا، سواء تعلق بطريق مباشر بموسى –عليه السلام–، أو كان هو أحد أطرافه، أو شاهدًا عليه، وسواء كان ذلك قولاً أو فعلاً.

مُصطلحاتُ البَحث:

١. الجَوانب الأسريّة: (الجوانب) لغة جمع جانب. ومن معانيه في اللغة العربية:

ناحية الشَّيء وطرفُه: قال ابنُ فارس: «الجيم والنُّون والباء أصلان مُتقاربان أحدهما النَّاحية، والآخر البُعد»[(١)]، فمن المعنى الأول (النَّاحية) قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، ومن المعنى الثَّاني قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]، أي: عن بعد، أو عن: ناحيةٍ بعيدة.

شقُّ الإنسان: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣].

مقدار الشَّيء وجُزئه: فيقال: خَصَّص جانبًا كبيرًا من وقته لأسرته[(٢)].

(الأسريَّة): نسبة إلى الأسرة، وهذا اللفظ لم يرد ذكره في القرآن الكريم، والمتعارف عليه إطلاق لفظ الأسرة على الرجل ومن يعولهم من زوجه وأصوله وفروعه[(٣)].

٢- قصَّة موسى -عليه السَّلام-: أحداث سيرة موسى -عليه السلام-، قولية كانت أو فعلية، كما وردت في سور القرآن الكريم.

ويعرِّف الباحث -إجرائيًا- **الجوانب الأسرية في قصَّة موسى -عليه السَّلام-** بأنها مجموعة الأحكام والإرشادات الأسرية الدَّالة -نظريًا وتطبيقيًا- والتي وردت خلال قصة موسى في القرآن الكريم.

وعدَلَ الباحث إلى التعبير بـ (جوانب)، دون مصطلح (الجوانب) للإشارة إلى أن البحث مسألة اجتهادية، قد يُستدرك فيها على الباحث جوانب أسرية أخرى في هذه القصة،

(١) الرازي، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج١، ص٤٨٣.

(٢) ينظر: عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ج١، ص٤٠١، وأبو جيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ص٦٧.

(٣) ينظر: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ج٤، ص٢٢٣.

بخلاف كلمة (الجوانب) التي ينبغي أن يستغرق بها الباحث جميع الجزئيات على معنى الاستقصاء الموضوعيِّ التَّام.

الدِّراساتُ السَّابقة:

لم يقف الباحث بعد البحث والتقصي على من بحث هذا الموضوع بمفرداته ومنهجه وهدفه المذكور، ولكنه وقف على مجموعة من البحوث التي تتناول قصة موسى -عليه السلام-، ويقترب بعضها جزئيا من بحثنا هذا، ومنها:

- **المضامينُ التَّربوية المُستنبطة من قصّة موسى -عليه السلام- وتطبيقاتها في الواقع المُعَاصر**، ماجستير، إعداد الطالب: عبد الله العيسي، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٢هـ - ١٤٣٣هـ: وكان هدفها استنباط بعض المضامين التربوية الإيمانية والدعوية والأخلاقية والتعليمية من قصَّة موسى -عليه السلام-، ثم ذكر بعض التطبيقات التربوية لتلك المضامين المستنبطة.

وهذه الدراسة تتقاطع بعض جزئياتها مع بحثنا هذا، خاصَّة الفصل الثالث منها؛ حيثُ ذكر الطالب بعض القضايا التربوية ذات العلاقة بالنظام الأسري، فذكر برّ الوالدين، وتربية الأبناء، والترغيب في الزواج، واختيار الزوج والزوجة الصّالحين... كما توسع في بعض القضايا الأسرية من منطلقٍ تربويّ، ويلاحظ أنّ دراستنا تفترق في جوانب التحليل والاستنباط والاصطلاح أيضًا.

- **سُورة القَصص دراسةٌ تحليليّة**، إعداد: الدكتور محمد مطني، وهي دراسة علمية جادَّة، وقد تحدّث الدكتور في الفصل الخامس منها عن بعض القضايا الفقهية المتعلقة بهجرة موسى -عليه السلام- إلى مدين، كزواجه ومهره، والولاية في عقد الزواج، وهي قضايا يتقاطع معها بحثنا، ولكن بمنهجيّة مختلفة وتفصيل أكثر.

- **التَّخطيط الأُسريّ في ضَوء القرآن الكريم**، ماجستير للطَّالبة: نصرى بنت جابر المسكري، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، أفريل ٢٠٠٦م. وقد راجع الباحث ملخَّصًا عنه منشور في الإنترنت، ويظهر بجلاءٍ أنَّه لا يتقاطع مع بحثنا هذا.

– الأبعادُ التَّربوية في قصَّة موسى –عليه السلام– وتطبيقاتُها التربوية، ماجستير، للطالبة: دالية فتحي جاد الله، كلية التربية، قسم أصول التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣٢هـ –٢٠١١م: وبتفحص الدراسة ونتائجها يظهر أنها بعيدة عن مجال بحثنا أيضًا.

خُطَّة البَحث:

يتألَّفُ هذا البحث من مقدِّمة، وأربعة مباحث، وملحق وخاتمةٍ؛ على النّحو الآتي:

المبحث الأول: جوانب تتعلق بأم موسى –عليه السلام–.

المبحث الثاني: جوانب العلاقة مع الإخوة.

المبحث الثالث: جوانب علاقة موسى عليه السلام بأهله (زوجه).

المبحث الرابع: جوانب أسرية أخرى.

نتائج البحث وتوصياته.

ثم فهرس لمصادره ومراجعه.

هذا، وأسأل الله –عز وجل– أن يُعينني على ما قصدته من وراء هذه البحث، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

****

المبحثُ الأول: جوانب تتعلق بأمِّ موسى

جاءت الآيات في كتاب الله تعالى، فيما يتعلق بأمّ موسى، لتطرق الجوانب الآتية: الجانب النفسي العاطفي، الجانب الحواري مع ابنتها أخت موسى -عليه السلام-، وجانب الرضاعة والكفالة.

أ – الجَانبُ النَّفسي العَاطفيّ: يصوّر لنا القرآن الكريم جانبا من كبد أم موسى، لفقد وليدها رغم الالهام والبشارة، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠].

واستعار القرآن الكريم لتوصيف هذه الحالة النفسية مصطلح (الفراغ)، والإحساس بفراغ القلب حالة إنسانية، قد تكون طبيعية أحيانًا، وقد يصاحبه ما ينغص وضعه ولو بصورة جزئية.

وللمفسرين في (فراغ قلب أم موسى) قولان: أحدهما: يشير إلى ثبات أم موسى ورباطة جأشها. والآية على هذا تتمدَّحُها، وثانيهما: بمعنى تطرُّق الضّعف والشكّ إلى نفسها، والآية على ذلك توصيف لحالها[(١)].

ولكن فاعلية هذا الجانب النفسي العاطفي يكتمل سياقيًّا بالإشارة إلى قرار عين أم موسى بعد البشارة الإلهامية، لتعاين موسى نفسه ولا تحزن، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٣].

وعلى هذا فأم موسى لم تصل إلى مرتبة الحزن، الذي هو انخلاعٌ عن السُّرور وملازمة الكآبة، وهو يضعف القلب ويوهن العزم ويضرّ بالإرادة[(٢)].

ومن الجدير ذكره: أنَّ صبر أم موسى على غياب ولدها وهو صغير يكون كالمقدّمة لها، فإنها ستبتلى بعد ذلك بغيابه وهو كبيرٌ في مدين.

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م)، ج٢٠، ص٨٠.

(٢) ينظر: الحجاجي، حسن بن علي، **الفكر التربوي عند ابن القيم**، (دار حافظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ص ٢٨٢

ب – الجانبُ الحواريّ مع ابنتِها: مسلك الحوار أو بالأحرى مسلك الأمر من الأمّ ومسلك الطاعة من البنت (ومتضمنه الحوار)، يتضح في هذه القصَّة على أساسٍ من محورية شخصية موسى –عليه السَّلام–، فلذلك جاء الظهور اللّفظي على النَّحو: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، وليس: (وقالت لابنتها). والدلالة هنا واضحة، وهي الاستثارة بمشترك العلاقة بين البنت وموسى، وهي (الأخوية)، الأمر الذي يقوي في وعي البنت معنى الطاعة الوالديَّة في خُصوص هذا الأمر.

ونلحظ خلال هذا السِّياق مؤشرًا آخر، وهو الطَّاعة النَّاجزة للبنت لأمها (قُصِّيه فبصُرَت)، والمعنى الحُكميّ المستفاد لزوم الطاعة للوالدين في المعروف بمستوىً عالٍ من شهوديَّة الخطاب ووعيه الكيفيّ.

ومن الواضح: أن اختيار أم موسى بتكليف أخته، ينطوي على معانٍ، من أهمِّها: تمام الثقة بها، ومعلوميَّة حرصها وحِذقها، يدل عليه عثورها على موسى في مُدَّة ليست بالطويلة، مع حسن تخلصها وكتمانها للأمر على تكرره كما هو مفاد (إذ تمشي أختك فتقول)، وكذلك مفاد قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]، قال ابنُ عاشور: «وبصُرَ بالشيء صار ذا بَصَرٍ به، أي باصرًا له **فهو يفيد قوة الإبصار، أي: قوَّة استعمال حاسَّة البصر وهو التَّحديق إلى المبصر**، فبصُرَ أشد من أبصر، فالباء الداخلة على مفعوله باء السببيّة للدّلالة على شدَّة العناية برؤية المرئي حتىَّ كأنه صار باصرًا بسببه... وهم أي آل فرعون حين التقطوه لا يشعرون بأنَّ أخته تراقبُ أحواله، **وذلك من حذق أخته في كيفية مُراقبته**»[(١)].

ومما يجلِّي ذكاء هذه البنت وما نِيطت به من مُهمَّة، ما لَسَنَت به في قولها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]. فعرضت: «سعيَها في ذلك بطرق الاستفهام المستعمل في العرض تلطُّفًا مع آل فرعون وإبعادًا للظِّنة عن نفسها»[(٢)].

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص٨٣.
(٢) المرجع نفسه، ج ٢٠، ص٨٤

والذي يتلخّص في هذا الجَانب:

- لزوم طاعة الوالدين في المعروف وبه.
- اختيار الحذق الذكي في قضاء أمور الأسرة.
- الإشارة إلى أهمية الحوار ودوره في البيوت.

جـ – الجانبُ التَّربويّ (الرَّضاعة والكفَالة):

جاء صريحًا في هذه القصَّة الأمرُ بكفاية الطّفل ورضاعته× قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ولكن يبدو انقطاع ما في هذه الرَّضاعة، لا نعلم مدته، وهي الفترة التي ألقى اليم فيها موسى الصَّبي بجانب قصر فرعون والتقاط آل فرعون له.

ولكنه سرعان ما عاد إلى حضن أمّه رضيعًا متكفَّلًا به، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: ٤٠] ومرة أخرى يبدو أن الطفل انتُزع من أمّه ليتلقى مبادئ التربية العامة بقصر فرعون، على عين امرأته، يقول تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[الشعراء: ١٨]، وفي هذه الأثناء يبدو أن الطفل كان يتلقى من التربية الأدبية والجسمية الشيء الكثير، فتعلم مبادئ اللغة وفصاحة الخطاب، وذلك معلومٌ لمن تتبع حجاجه لفرعون وغيره في القرآن الكريم، بالموازاة مع ذلك تعلم مبادئ القوة وتدرب عليها، بمدلول قوله تعالى: ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ .

وفي هذا المقام كانت عناية الله تحوطه، فلم تفسد فطرته بهذا التبني، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه: ٣٩]، وأيضًا مما لاشكّ فيه تواصله مع أمّه خلال تلك السَّنوات.

وفي الفقه الإسلامي: يترجَّح القول بوجوب إرضاع الأم وليدها، إلا إذا قام عذرٌ شرعي، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[البقرة: ٢٣٣] ، ووجه الاستدلال أن الآية صيغتها الخبر، لكن مَفْهُومُهَا مَفْهُومُ الْأَمْرِ[(١)]، وإذا كانت الآية منصرفة إلى النَّدب؛ فلا أقلّ من وجوبه على أمّ موسى خاصّة بدلالة قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص: ٧]

(١) الزحيلي، وهبه بن مصطفى، **الفقه الاسلامي وأدلته**، (دمشق: دار الفكر ، ط٤)، ج١٠، ص٧٢٧٤.

والذي يتلخَّصُ في هذا الجَانب:

- وجوبُ رضاعة الأطفال وكفالتهم ورعايتهم، حرصاً على نشأتهم السليمة.
- أفضلُ الرضاعة للطفل هي رضاعة أمِّه، وأفضلُ الكفالة كفالتُها.
- الكفالةُ عمليّةٌ تكاملية بين الجوانب الجسميّة والنفسيّة والأدبيّة.
- الكفالةُ صِنوُ التربيّة ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾، ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾، ولا تنفصلُ إحداهما عن الأخرى.

المَبحثُ الثَّاني: جوانبُ العلاقة مع الإخوة

أ- هَارون -عليه السَّلام-: لقد ورد ذكر هَارون عليه السَّلام في القرآن الكريم كأخٍ لموسى عليه السَّلام بالنَّص الصّريح في ستِّ آياتٍ، وهي كالآتي:

١. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ١٤٢]

وقال أيضًا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾[مريم: ٥٣]

٢. وقال أيضًا: ﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾[طه: ٣٠].

وقال أيضًا: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[المؤمنون: ٤٥]

٣. وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥].

٤. وقال أيضًا: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤] وبرغم أن الإطار الدَّعوي - المنهجي كما يظهر من خلال الآيات السابقة هو الذي يجمع موسى -عليه السَّلام- بأخيه هارون، إلا أن كتاب الله يستوعبُ خلال ذلك إشارات أسريَّة تربط الأخ بأخيه، وقد وقف الباحث على بعضها:

الإشَارة إلى طَبيعة العَلاقة بينهما: ويتجلَّى ذلك في سؤال موسى أن يجعل الله أخاه هارون وزيرًا له، وردءًا يصدقه: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾[طه: ٢٩]﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾[طه: ٣٠] ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾[طه: ٣١] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾[طه: ٣٢]

ومن المرجَّح: أن خصائص التَّعلق الأخوي بالنَّسب تؤثر تأثيرا عميقًا في عناصر التوثق والولاء، ومن ثم التناغم في الفعل الدعوي، والأكيد أن هارون -عليه السلام- قد استقى من معين تلك الأسرة الطيبة، كما استقى موسى وأخته.

الاعترافُ بتقدّم هَارون عليه في الفَصَاحة: قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[القصص: ٣٤]، وذلك من كمال الأخلاق في العلاقة الأخوية بين الأخ وأخيه، وهذا التقدم اللِّساني لا يستوجب ضعف موسى بلسان القوم، فهذا حجاجه وجداله مبسوطٌ في القرآن الكريم، بينما «لم يحك في القرآن أن هارون تكلم بدعوة فرعون»[(١)]، وفصاحته ظاهرةٌ جليّةٌ كما في قصة السامريّ.

اللُّطف في الخِطاب والتودّد في الشَّكوى: فقد قال هارون: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف: ١٥٠]، فعدل عن الاسم والأخوية بينهما، وذكر الأم للاسترفاق والاسترحام، وأدعى إلى العطف والرقة، وأعظم للحق الواجب[(٢)]، والإنسانُ عند ذكر الوالدة أرقّ منه عند ذكر الوالد[(٣)].

وهذا الأخذ على يد هارون -وكان مجتهدًا معذورًا- جاء على وفق التَّصور الإسلامي الذي «يقطع الوشائج والصّلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعَمل، ولا يعترف بقربى ولا رحم إذا أنبتّت وشيجة العقيدة والعمل ويسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل.. وهو يفصل بين جيل من الأمة الواحدة وجيل إذا خالف أحد الجيلين الآخر في عقيدته، بل يفصل بين الوالد والولد، والزوج والزوج إذا انقطع بينهما حبل العقيدة... إنّ الأسرة ليست آباءً وأبناءً وأحفادًا.. إنما هي هؤلاء حين تجمعهم عقيدة واحدة»[(٤)].

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص١١٧

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**، تحقيق: ابراهيم بسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣)، ج١، ص٥٧٣، والزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص١٦١.

(٣) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٢، ص١٥٧.

(٤) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ)، ج١، ص١١٣.

ب - **أختُ مُوسى -عليه السَّلام-**: يصور لنا القرآن الكريم أخت موسى -عليه السلام- البنت المطيعة لأمها، الحريصة على سلامة أخيها، والمستقصية أخباره بوعي وذكاء..

ويؤشِّر ذلك لمدى التفاعل الأسري البنَّاء وتحقق الاستقرار النفسي، وسلامة السلوك والخلق داخل هذه الأسرة.

وبرغم فساد الأخلاق السياسية، وسواد الظلم والتمييز وحياة القهر والعبودية والاستضعاف -بما يؤثر على النظام الأسري، لم ينجُ من ذلك امرأة فرعون نفسه- إلا أن هذه الأسرة استطاعت المحافظة على أواصر المودة والتواصل بين أفرادها، ويظهر ذلك في تلك المخاطرة التي تحملتها أخت موسى -عليه السلام- لأجله.

وإذا كانت الأم أعظم من يأنس بوليدها، وتقرّ عينها به؛ فمثلها الأخت، تأنس بأخيها، وتتلقاه عادة بود وعطف وروحانيّة.

واللاَّفت هنا هو مدى مقدرة هذه الأخت على كتم عواطفها وانفعالاتها في السّلوك واللّغة خلال قَصِّها أثر أخيها موسى -عليه السلام-، ونحن نعلم أنه لم يتأيدها إلهامٌ كما تأيدت به أمّها، فإذًا تأيدت بالصَّبر والجلد نتيجة الإيمان والإخلاص فيه أولًا، ونتيجة الشعور بأثر تلك الرابطة الأسرية.

ويمكن بالنظر في القرآن الكريم أن نلخِّص دور أخت موسى في أمرين:

الأمر الأول: تحرِّي خبر موسى وقصّ أثره واستفراغ الوسعِ في ذلك: ولاشك أنها خطوة تتسم بالتعقيد والخطورة من النَّاحية العملية، كونها تتعلق ببعض خصوصيات الحاكم المستبد من جهة، وتتطلب قدرًا من الحضور والتقمص والانغماس والتخفي من جهة أخرى، ضمن حدود قانونية ضيقة للغاية.

الأمر الثاني: اقتناصُ الفُرصة وتوجيه الخِطاب المُناسب: وصعوبة الخطاب في هذا الموقف لا تقل عن صعوبة تقصي موسى -عليه السلام-، وقد جاء خطاب الأخت توليفة من أمرين؛ الكفالة والنصح ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]، وتخريجه أن آل فرعون إنما كانوا يتقصدون أي امرأة، ورضاعة

بمجردها، كأنهم نظروا الى احتياجات الطفل الآنية.. ولكن أخت موسى تحدثت عما هو أعمق من ذلك في واقع شخصية الأطفال مجهولي النسب -على افتراض أنه كذلك من وجهة نظرهم- وهو الحاجة إلى الكفالة التي تسند الأطفال ماديّاً، والنّصح الذي يسندهم معنويًّا وأخلاقيًّا.

ولا يبعد أن تكون البنت تمدحت بذلك أهل بيتها وأسرتها، بقصد تهيئة القوم للقبول بهم دون غيرهم، وتفويق عرضها على كل مسترضعة تريده، ذلك أن قصد الكفالة من غير أمه قد يحصل لطلب أجر أو حظوة لدى فرعون بالمقام الأول، لا لميلان القلب على الولد والنصح له؛ بخلاف أهل بيت الولد، فإنهم ينبعثون بـ «العمل الخالص الخليّ من التَّقصير والفساد»[1] أي بالنُّصح، على أصل نسبه فيهم، لا على مقصود بتحصيل نوال من فرعون وآله.

والحاصل: أن أخت موسى أشارت إلى أصول هامة في تربية الأولاد:

أحدها: الكفالة وتتضمن رعاية الأطفال بالرَّضاعة والنَّفقة عليهم وكسوتهم.

وثانيها: التَّربية الأخلاقية المعبر عنها هنا بالنصح، وتعني «تعويد الناشئ على الأخلاق الفاضلة، والشيم الحميدة حتى تصير له ملكات راسخة وصفات ثابتة... وتخليصه من الأخلاق السيئة»[2]، ويشير أهل العلم إلى أن النَّصيحة من مكارم الأخلاق الرفيعة، بل ليس «في مكارم الأخلاق أدقَّ ولا أخفى ولا أعظَمَ من النَّصيحة»[3].

وعمليًّا «الكفالة أمرٌ سهلٌ بخلاف النُّصح والعناية»[4]، وللوالدين مسؤولية تخليق الأولاد منذ الصغر على القيم.

وثالثها: الإشارة إلى أن التربية تكون حال الصغر، فقد قال القرآن الكريم: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

ورابعها: الإشارة إلى أن التربية عملية تشاركية تعاونية، تقوم على مبادئ التكامل في

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص٨٤.

(٢) حسن بن علي الحجاجي، **الفكر التربوي عند ابن القيم**، ص٣١٤.

(٣) المناوي، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى ط١)، ج ٦، ص٢٦٨ نقلًا عن **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ج٤٠، ص٣٣١.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٠، ص٨٤.

الوظيفة الفطرية والاجتماعية للزوجين، ولذلك أسند القرآن الكريم التربية لكليهما فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[الإسراء: ٢٤]، وفي آية أخرى فصّل وجه المسؤولية في الوضع الطبيعي بين الرجل والمرأة فقال: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[البقرة: ٢٣٣].

والذي يتلخّص في هذا الجانب:

– المنهج الإلهي –وليس النّسب الأسريّ المجرد– هو الإطار النَّاظم الذي تتحدد وتتقوم في ضوئه العلاقات الأسرية، سواء علاقة الأخ بأخيه، كما هو في قصَّة موسى –عليه السلام– أو علاقة الأب بابنه كما في قصّة نوح أو إبراهيم، أو الزوج وزوجته... قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

– الفصاحةُ عاملٌ هام من عوامل نجاح الدعوة؛ فغلبةُ الحجّة خيرٌ من غلبة القدرة. **وتربية الأطفال** على الفصاحة لا ينبغي أن يُقتصر فيه على مستويات صحة الأبنية اللغوية، ولكنه بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يستهدِفَ قدراتهم على التَّواصل المقامي في مستوياته العَميقة.

– المسؤولية الأسرية كالدعوية، تقتضي أخلاقاً وعاطفةً، كما تستدعي قوامةً تواصليَّة بين أطرافها.

****

المبحث الثالث: جوانب العلاقة بأهله (زوجه)

ربما لا يجد المرءُ في سيرة نبي من الأنبياء –حاشا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم– ذلك التجسيد العملي لأصول علاقته بأهله وقيمها، ما يلقاه في قصة سيدنا موسى –عليه السلام–؛ إذ ما من شك أن القصة استوعبت تفاصيل نكاحه ومهره وتعامله مع صهره وأهله. ويمكن إبراز هذه القضايا فيما يلي:

أولاً– في شُروط اختيار المَرأة: قد يبدو ببادئ النظر أن اختيار موسى لأهله بمدين اختيار مضطر؛ ألجأه الخوف والاغترابُ بهذه الدِّيار إلى قبول فكرة هذا الزواج، دون أن يتقصده ويختاره ويرضى به.

والحقيقة أن موسى كان حرًّا مختارًا، راضيًّا؛ وقد قال: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [القصص: ٢٨]. وكيف يرضى الإكراه وقد غاضَبَ فرعون وتاركه لأجل ذلك، وأين ما يدل على الاضطرار؟ بل هي دعوة واستجابة وحوار.

فأما شروطه في المرأة فهي:

أ– حُسنُ الخُلق: قد قيل إن «حُسْنَ الْخُلُقِ بَذْلُ النَّدَى، وَكَفُّ الْأَذَى، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى»[(١)]، قال الغزالي: «وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل...»[(٢)].

ولو تأملنا في هذه القصة لوجدنا اختيار موسى –عليه السلام– يخضع ابتداء لهذا الشرط الموضوعي، ويدل عليه:

أ–١– اتِّصافُ المَرأة بالحَياء: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، والاستحياء افتعال من الحياء، ويؤشر إلى شدته والمبالغة فيه، وأصل الحياء «تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم»[(٣)].

---

(١) ابن القيم، شمس الدين، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م)، ج ٢، ص٢٩٤.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة)، ج٣، ص٧٠.

(٣) الرازي فخر الدين محمد بن عمر، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ط٣، =

أ–٢– عَدَم الخُضوع بالقَول: سواء ذلك في الجواب أو في الخطاب أو الموضوع. فأما الجواب فقالتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، فكانتا اثنتين وأجابتا بجملتين، وأما الخطاب فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فكانت بمفردها فأوجزت الخطاب بجملة، وأما الموضوع فكان معروفًا محددًا، غير منكر، «فإن موضوع الحديث قد يُطمع مثل لهجة الحديث»(١).

كذلك من المناسب الإشارة إلى عدم خضوع المرأة في مشيتها، فإنها قدمت على استحياء، فإذا كانت لهجة الحديث تطمع، والموضوع يطمع، فالمشية كذلك، فلما انتفى كل ذلك رَشَحَ لدينا كمالُ أدب هذه المرأة.

أ–٣– الخُروج للضَّرورة وبرفقةٍ صَالحةٍ: وخدمتهما لأبيهما الطاعن في السن، وهذا مؤشرٌ على حسن الخلق، فإن بر الوالدين والقيام عليهما من كمال الأخلاق، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ...»(٢).

وقد استنبط بعض المفسرين من الآية أن المرأة لا تخرج للعمل الذي هو من خصائص الرجال إلا للضرورة، وهي هنا كبر الوالد وعجزه(٣).

وربما كان من شروط ذلك ترك الاختلاط، وقرب الديار عن مكان العمل، كما هو مفاد الآية التي تشير إلى سرعة اقبال المرأة بدعوة أبيها لموسى، وما ذلك إلا لقرب الدار عن مكان الرعي والسقي.

ب– التَّدين والإيمان: ومن أعظم ما يدل عليه في قصة موسى:

=

١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٣٦١، والزمخشري، **الكشاف** ١١٢/١.

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن** ٢٢٥٩/٥.

(٢) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– المعروف بـ (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)،كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، ج٤، ص١٩٨٠، ح (٢٥٥٣).

(٣) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، (مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م)ج، ص٦٦٥٦، وج ١٧، ص١٠٩٠٤.

ب–١– حياءُ المَرأة: بل تمكنها فيه، وكما أن الحياء من الأخلاق الفاضلة، فإنه شعبة من الإيمان، وخير كله، فقد جاء أنه من الدين، بل هو الدين كله، فقد روى الطبراني وغيره عن قرة بن إياس –رضي الله عنه– قال: كنا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– فذُكر عنده الحياء، فقالوا: يا رسول الله الحياء من الدين؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((بل هو الدين كله))[(١)]، وهذا صحيح لأن باعث الحياء هو الإيمان وصدق محبة الله وطاعته.

ب–٢– عفَّة المَرأة: فإذا كان باعث الحياء هو أصالة الإيمان، فإن أهم آثاره عفة الإنسان وكرامة نفسه.

ج– الزَّواج البَعيد: من المعروف أن التشريعات اليهودية تمنع الزواج المختلط، ولكنه تاريخيًّا تزاوج اليهود بغيرهم من الشعوب، وعلى هذا فقد تزوج موسى أثناء الخروج من مصر من المرأة المِدِينيَّة[(٢)]، ولم يلاقِ رفضًا اجتماعيًّا لما سار بها إليهم.

ثانيًا: في شُروط الزَّواج وأركانِه الشَّرعية:

ولاية الأب: تشير الآية –الآتية قريبًا– إلى ركنية الولي في عقد الزواج، ولكنها تبدي أن ولاية الأب ههنا ولاية إجبار، فإنه قال لموسى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[القصص: ٢٧]

أ– والسبب في ذلك –إذا صح الإجبار– ما ظهر له من المصلحة في ذلك، فالرجل كفء في قوته وأمانته، وقد اختبره وعرف حاله لما قص عليه القصص، فما كان فيه من مفسدة، قال القرطبي: «هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْأَبِ أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَتَهُ الْبِكْرَ الْبَالِغَ مِنْ غَيْرِ

(١) ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م)، ج١٩، ص٢٩.

(٢) ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (موقع المكتبة الشاملة)، ج٣، ص٢٢٣، و**المَدِينيَّة** نسبة إلى مَديَن –بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الياء المثناة من تحت، وآخره نون– الوارد ذكرها في القرآن الكريم عشر مرات. مدينة قوم شعيب –عليه السلام–، تقع بين المدينة المنورة والشام على بحر القلزم. ينظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)، ج٥، ص٧٧، والقطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢ هـ)، ج٣، ص١٢٤٦.

استئمار، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ»[١].

وقد أشار الإمام الشعراوي إلى أن رجاء البنت باستئجاره قد يخلق مشكلةً، فكيف يستأجر رجلًا وعند ابنتان، فكانت الفطنة الإيمانية تقتضي أن يكون متزوجًا بواحدة فيكونَ محرَّما على الأخرى[٢]، أي: بجمعه بين الإجارة والزواج (أنكحك- تأجرني).

ولكن المتأمل في أخلاق هذا الرجل المشار إليها في هذه الآيات يرجح جانب استئذانه ابنته ورضاها، بلحاظ سيلان الحوار بين الأب وابنتيه، ووصفه بالصلاح، وإكرامه الغريب؛ فكيف بابنتيه!!.

ومن المعلوم في شريعة الإسلام -وهو الراجح إن شاء الله- أن تزويج البنت مع كراهتها للنكاح «مخالفٌ للأصول والمعقول، والله لم يسوغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده، فكيف يكرهها على مباضعة من تكره مباضعته ومعاشرة من تكره معاشرته؟! والله قد جعل بين الزوجين مودة ورحمة، فإذا كان لا يحصل إلا مع بغضها له ونفورها عنه، فأي مودة ورحمة في ذلك؟»[٣].

ب- اختيارُ الزَّوج الكُفء: الكفاءة هي المماثلة والمساواة في القوة والشرف[٤]، وشرعًا: هو «أمرٌ يوجبُ عدمُه عارًا»[٥].

وقد حمل الكثير من المفسرين والباحثين في القرآن كفاءة موسى -عليه السلام-، على القوة والأمانة الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، ثم ذهبوا في تفسير ذلك ما يعد تكلفا لا داعي له، ودفعا لريبة لا وجود لها[٦].

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ج١٣، ص٢٧١.

(٢) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٥، ص٢٨٤٢.

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، **الفتاوى الكبرى**، (دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧م)، ج٣٢، ص٢٥.

(٤) سعدي أبو جيب، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ص٣٢٠.

(٥) الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، (دار الكتب العلمية، ط١٤١٥،١هـ - ١٩٩٤م)، ج٤، ص٢٧٢.

(٦) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٨٨.

والباحث إذ يلاحظ أن هذا التوصيف بالقوة والأمانة إنما كان بعد دعوة الأب لموسى ليجزيه، وكان بعد سماعه منه القصص، لا قبل ذلك، بدلالة ترتيب الآيات في المصحف؛ يسجل أن هذا التوصيف إنما جاء تبعا لحكم الأب –وهو الشيخ الكبير المجرب– بعدما سمع من موسى ما سمع، فتلقفته إحدى البنتين، مستصحبة ما ظهر لها في شخصه وسلوكه قبل ذلك، فسألت استئجاره.

وأكثر المفسرين يرون التوصيف مجردًا عن حكم أبوي محتمل، ويرونه يتبع الحدث قبل اجتماع موسى بالأب، فلذلك ذكروا حمله الحجر، وقالوا علامة القوة، وذكروا من مسيره أمام البنت وهذه علامة الأمانة.

ويرى الباحث أن التأويل الأسلم الذي يترجم حقيقة ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾، هو ما تضمنته سيرورة الحدث وصيرورته، قبل دعوة الأب وبعد دعوته، أي: هو معنى وسيط يستثمر هذا وذاك، دون اختزاله بمرحلة معينة، بمعنى أن حكم (الأمانة) مستفاد من الشيخ الكبير، فقد استضاف موسى وتحدث إليه ورأى منه، ولا يبعد أن يكون أخبر ابنتيه بذلك. فأما (القوة) فظاهر أنها باعتبار رجولة موسى وشبابيته، بالمقارنة مع ضعف المرأة في التكوين العضوي والنفسي، يؤيد ذلك تعليق (القوة والأمانة) في الآية بالإجارة، واعتذارهما السابق بالقول ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وإذا كانت المرأة حيية، وذات دين؛ فموسى يكافئها في هذا الجانب أيضًا، فقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: ((إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ))[1].

ت– المَهر: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

رغم أن هذه الآية لا تصرح بالمهر، ولا بطبيعة الخدمة سوى أنها إجارة. ووجهها أنها

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه المعروف بـ (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى –عليهما السلام–، ج٤، ص١٥٦، ح (٣٤٠٤).

اشتراط من الشيخ الكبير لنفسه، وتفويض للمهر، على طريقة نكاح التفويض وهو جائز[١]، إلا أن كثيرًا من أهل العلم سموا المنفعة مهرًا في عقد الزواج انطلاقًا من هذه الآية، قال الشافعي: «الصَّدَاقُ ثَمَنٌ مِنْ الْأَثْمَانِ فَكُلُّ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ ثَمَنًا صَلُحَ أَنْ يَكُونَ صَدَاقًا، وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ إلَى الرَّجُلِ عَلَى أَنْ يَخِيطَ لَهَا الثَّوْبَ وَيَبْنِيَ لَهَا الْبَيْتَ وَيَذْهَبَ بِهَا الْبَلَدَ وَيَعْمَلَ لَهَا الْعَمَلَ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ مَا دَلَّ عَلَى هَذَا؟ قِيلَ: إذَا كَانَ الْمَهْرُ ثَمَنًا كَانَ فِي مَعْنَى هَذَا، وَقَدْ أَجَازَهُ اللَّهُ -عز وجل- فِي الْإِجَارَةِ فِي كِتَابِهِ وَأَجَازَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالَ اللَّهُ -عز وجل-: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وَقَالَ -عز وجل-: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وَذَكَرَ قِصَّةَ شُعَيْبٍ وَمُوسَى -صلى الله عليهما وسلم- فِي النِّكَاحِ فَقَالَ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـَٰتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٦-٢٧] الْآيَةَ. وَقَالَ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] قَالَ: وَلَا أَحْفَظُ مِنْ أَحَدٍ خِلَافًا فِي أَنَّ مَا جَازَتْ عَلَيْهِ الْإِجَارَةُ جَازَ أَنْ يَكُونَ مَهْرًا »[٢].

ثالثًا: في الشُّروط الجَعليّة: الشَّرط الجعلي: هو الذي يشترطه المكلف بإرادته رجاء تحقيق مقصد خاص[٣]، وقد اختلف العلماء في ذلك. والراجح إن شاء الله الإباحة والجواز، ما لم يدل الشرع على بطلانه بالنص أو القياس.

وقد أشار الإمام القرطبي في قصة موسى إلى ذلك، فقال: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ قِيلَ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ يَذْهَبُ بِأَهْلِهِ حَيْثُ شَاءَ، لِمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ فَضْلِ الْقِوَامِيَّةِ وَزِيَادَةِ الدَّرَجَةِ إِلَّا أَنْ يَلْتَزِمَ لَهَا أَمْرًا فَالْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ، وَأَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوَفَّى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»[٤].

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ٢٧٨/١٣.

(٢) الشافعي، محمد بن ادريس، **الأم**، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ج٥، ص١٧٣.

(٣) وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج٤، ص٣٠٧٦.

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص٢٨١.

والذي يتلخَّصُ في هذا الجَانب:

– أن للزواج في الشرائع الإلهية، شروطٌ شرعية، جوهرية تتميز بالثبات والإطلاق عن قَيدي الزمان والمكان، وأخرى جَعلية ترتبط بالمصلحة، ويُراعى فيها تغير الظُّروف والأحوال.

****

المبحثُ الرَّابع: جوانب أسريّة أخرى

أ– عرضُ الرَّجل ابنتَه أو أختَه عَلى الرَّجل الصَّالح: من القضايا الأسرية المستنبطة من قصة موسى، حتى صارت كالأصل الشرعي ما تشير إليه الآية: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، من جواز عرض الولي ابنته للزواج من الرجل الصالح، وقد عقد الإمام البخاري في كتاب النكاح من صحيحه بابًا فقال: بابُ عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، وساق فيه حديثين، أحدهما عن عبد الله بن عمر عن صنيع أبيه لما تأيَّمت حفصة ابنته –رضي الله عنهما–، فعرضَها على عثمان بن عفان، ثم على أبي بكر الصديق، والثَّاني طرفٌ مما جاء في قصَّة أم حبيبة من عَرضِ أختها على رسُول الله –صلَّى الله عليه وسلم–[1].

قال القرطبي: «وَهَذِهِ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، عَرَضَ صَالِحُ مَدْيَنَ ابْنَتَهُ عَلَى صَالِحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَرَضَ عمر ابن الْخَطَّابِ ابْنَتَهُ حَفْصَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ، وَعَرَضَتِ الْمَوْهُوبَةُ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَمِنَ الْحَسَنِ عَرْضُ الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ، وَالْمَرْأَةُ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ، اقْتِدَاءً بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَمَّا تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ قَالَ عُمَرُ لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أُنْكِحُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَر»[2].

---

(١) ينظر: البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه المعروف بـ (صحيح البخاري)**، كتاب النكاح، بابُ عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ج٧، ص١٣، ح (٥١٢٢و٥١٢٣)، وينظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة،١٣٧٩هـ) ج ٩، ص١٩٢.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٣، ص٢٧١، وأصل هذا الكلام في **أحكام القرآن** لابن العربي، ج٣، ص٤٩٤.

ويرى الإمام العيني من خلال حديث الواهبة نفسها: «جَوَاز عرض الْمَرْأَة نَفسهَا على الرجل الصَّالح وتعرف رغبتها فِيهِ لصلاحه وفضله، أَو لعلمه وشرفه، أَو لخصلة من خِصَال الدّين، وَأَنه لَا عَار عَلَيْهَا فِي ذَلِك، بل ذَلِك يدل على فَضلهَا»[(١)].

وإذا كان ظاهر الآية يفيد عدم تعيين البنت المقصودة بالنكاح ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾، فلأن الأمر كان في بدايته عرضًا وليس عقدًا، والجهالة ابتداء لا تضر، قال ابن عاشور: «وَجَعَلَ لِمُوسَى اخْتِيَار إِحْدَاهُمَا لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَهَا ... وَإِنَّمَا اخْتَارَهَا دُونَ أُخْتِهَا لِأَنَّهَا الَّتِي عَرَفَ أَخْلَاقَهَا بِاسْتِحْيَائِهَا وَكَلَامِهَا، فَكَانَ ذَلِكَ تَرْجِيحًا لَهَا عِنْدَهُ، **وَكَانَ هَذَا التَّخْيِيرُ قَبْلَ انْعِقَادِ النِّكَاحِ، فَلَيْسَ فِيهِ جَهْلُ الْمَعْقُودِ عَلَيْهَا**»[(٢)].

والواضح من كلام العلماء أن هذا العرض مقيدٌ بصلاح الرجل في دينه وخُلقه، وكونه يحقق المصلحة، ولا يبعد أن يكون للعرف مدخل في تقييد هذا الجواز أو منعه.

ب- في تعَامل مُوسى -عليه السَّلام- مع أهلِه: من بين ما نلحظ استنباطاً من كتاب الله تعالى في هذه القصة أيضاً، طريقة تعامل موسى مع أهله بعد سنوات على هذا الزواج، فهو يتعامل بالمودة والرحمة والمسؤولية والمعاشرة بالمعروف، والنفقة على أهله، ويدل على ذلك أنه لما خرج بأهله، ورأى تلك النار، أشفق عليهم وخاف المكروه يصيبهم، فقال ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾، ثم وعد أنه سيستطلع الأمر، ويأتيهم منها بما يستدفئون به من القر الشديد. وهذا من حرصه -عليه السلام- على أهله وقيامه عليهم ومحبته لهم.

ثم لا يخفى أن موسى عندما سار من مدين بأهله، استاق معه غنمًا، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، فكان -عليه السلام- يحمل نفقته ونفقة أهله الواجبة عليه.

ج . التَّبني: وقد أشار إليه قوله تعالى في قصَّة موسى -عليه السَّلام- على لسان امرأة فرعون: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا

(١) العيني، بدر الدين ، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج٢٠، ص١١٣.
(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص١٠٦.

يَشْعُرُونَ﴾[القصص: ٩]، وهو «اتخاذ الشَّخص غير ولده ولدًا له»[(١)]. والتبنِّي نظام أممي قديم، عرف عند البابليين والآشوريين والرُّومان والعرب[(٢)]، ولكنه لم يكن مشهورًا ومعروفًا في مصر القديمة. ويشير القرآن الكريم إلى رغبة في التبني من جانب بعض حكام مصر، ففي قصة يوسف -عليه السلام- توجَّه عزيز مصر لامرأته بالقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]، وفي قصة موسى كان الأمر بالعكس، سألت امرأة فرعون ذلك: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[القصص: ٩]، ولكنها مجرد رغبات تعبر عن حالة نفسية وليس حالة قانونية، دافعها الإشفاق لرعاية هؤلاء وحمايتهم، وربما توسم الخير والنَّجابة فيهم، دون تبنيهم على الوصف الاصطلاحي، لذلك لم يعرف عن يوسف -عليه السلام- ولا موسى أنهما كانًا بوضع التبني بعد ذلك.

وقد أبطل الإسلام التبنِّي وحرَّمه، لكنه لم يمنع «تربية ولدٍ لقيطٍ وتعليمه، ثم حجبه عن الأسرة بعد البلوغ أو قبله بقليل، وإنما فتح باب الإحسان إليه على أوسع نطاق، وعدّ ذلك إنقاذاً للنفس من الهلاك، وإحياءً لنفس بشرية، ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا النَّاس جميعاً»[(٣)].

د – الإصلاح الأسري وأهميته وأثره: ولعلّ هذا الأمر من القضايا التي شغلت موسى -عليه السلام- أيضًا، فنجده عندما يمضي لميقات ربه يوصي أخاه هارون بأن يخلفه في قومه ويصلح: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ٤٢١] كما نجده كثيرًا ما يصطدم لدى بني إسرائيل بنزوعات وثنية – مادية تقصر النظر العقدي على ما تدركه الحواس من معاني وآثار الألوهية، وتبتعد عن التجريد، إذ كانوا يقرون بالتوحيد، لكن لا يفهمونه إلا في إطار من التَّجسيد، دون أن يروا في ذلك تناقضًا مع تنزيه الإله، بواقع تأثرهم بالطُّقوس الوثنية الفرعونية.

(١) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، **مُعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، (دار الفضيلة)، ج١، ص٤٢٧.

(٢) ينظر: الفضل، منذر، **تأريخ القانون**، (منشورات ثاراس، ط٢،٢٠٠٥م)، ص١٢٣، وأبو طالب، صوفي حسن، **تاريخ النظم القانونية والاجتماعية** (٢٠٠٧ م)، ص٤٠٨.

(٣) وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج١٠، ص٧٢٤٩.

نلاحظ ذلك بشكل جليّ لما أتوا على قوم مستغرقين في طقوسهم الوثنية: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، أي: اجعل لنا إلهًا واحدًا متجسِّدًا كما يفعل هؤلاء، فتشبثوا بمبدأ الواحدية لله فقالوا (إلها)، وليس آلهة، ولكن أرادوها واحدية متجسدة.

ولقد كانت تكون مثل هذه التصورات شأنًا فرديًّا غير متعد، أو لفظ خطر لبعضهم، ولكنها كانت -فوق أنها انحراف فردي أو لفظي- تمسّ الأسرة والمجتمع آنذاك، بل تمسّ الخصوصيّة الأسريَّة التي ينبغي أن تكون متميزة عن الإطار المفروض عليها من طرف فرعون، ذلك أن تماهي الأسرة الإسرائيلية المؤمنة في نظيرتها الفرعونية -التي تعمل بمبدأ تجسيد الآلهة- يمثل اغترابًا ثقافيًّا شديدًا كان على موسى أن لا يقره أبدًا ولو في مستواه الفردي أو اللفظي، باعتبار ما يترتب عليه من الآثار السلبية، سيَّما وقد أمنوا من فرعون وآله بتجاوزهم البحر.

وهذا التصور الهوياتي لازمةٌ ضروريّةٌ في حياة المسلمين اليوم سيما الأقليات المسلمة في بلاد الغرب (فحالتها تحمل نوع مشابهة لحالة الجماعة اليهودية في المجتمع الفرعوني)؛ لأنه يمثل تحديًّا ثقافيًّا، بل وجوديًّا في ظل تأثيرات العولمة التي تلغي الخصوصيات وترفض مبادئها، وتعدها معوقات تواصل واندماج.

والذي يتلخَّصُ في هذا الجَانب:

- لم يكن التبنِّي بالمعنى القانوني نظامًا أسريًّا شائعا في عهد موسى -عليه السلام-، بقدر ما هو اختيارٌ شخصيٌّ يُنظر فيه إلى المصلحة (عسى أن ينفعنا).

- بناءُ الأسرة وحمايتها كوظيفة اجتماعية وأخلاقية، يتماهى ضرورةً بالمقاصد السياسية والحضارية لتطلعات الأمَّة.

- المودَّة والرحمة والمعاشرة بالمعروف والمسؤولية، ليست مثالاً تشريعيًّا مُتعاليًّا، بل يمكن تمثله وتحققه عبر الزمان والمكان.

– ملحق يبين تكرار اسم موسى –عليه السَّلام– في القرآن الكريم

اسم السورة	التكرار	النسبة المئوية
الأعراف	٢١ مرة	15,44
القصص	١٨ مرة	13,23
طه	١٧ مرة	12,50
البقرة	١٣ مرة	9,55
يونس، الشعراء	٨ مرات	11,76
غافر	٥ مرات	3,67
النساء، المائدة، الأنعام، هود، إبراهيم، الإسراء، النمل	٣مرات	15,44
الكهف، المؤمنون، الأحزاب، الصافات، الأحقاف	٢ مرة	7,35
آل عمران، مريم، الأنبياء، الحج، الفرقان، العنكبوت، السجدة، فصلت، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الصف، النازعات، الأعلى	مرة واحدة	10,95
عدد السور: ٣٤ سورة	**المجموع: ١٣٦ مرة**	%١٠٠

– **تعليق**: من خلال هذا الجدول الإحصائي نستنتج أن اسم موسى ذُكر في القرآن الكريم مائة وست وثلاثون مرة، أكثرها في سورة الأعراف، ويلاحظ –إذا نظرنا في مضمون تلك الآيات– أن هذا التَّكرار قد ورد في سياقات مختلفة، منها ما يتعلق بكلام الله له، أو بيان معجزاته، أو جداله مع قومه، أو حديث قومه معه، أو على لسان الملأ من قوم فرعون، أو كإشارة إلى بعض أفعاله، أو مجرد نسبة إليه...

– ويلاحظ أيضًا أن قصَّة موسى –عليه السَّلام– خارج هذا الإحصاء كانت تدور إما (مع ربه، فرعون وملئه والسَّحرة والسَّامريّ، قومه وأهله في مشاهد كثيرة متعددة، ومع العبد الصالح).

– السّور المكية أكثر السور ذكرا لقصَّة موسى عليه السَّلام ، حيث ذكر في مائة وتسعٍ وعشرين سورة.

الخَاتِمَة:

يمكنُ أن نجمل نتائج هذا البحث فيما يلي:

– قصَّة موسى –عليه السلام– أكثر القصص ذكرا في القرآن الكريم، وخاصة في السور المكية منه وحسب الدراسة الإحصائية؛ فقد تكرر اسم موسى في أربعٍ وثلاثين سورة بمجموع مائة وستٍّ وثلاثين مرَّة في سياقات مختلفة.

– قصة موسى عليه السلام تمتلئ بأحكام وتوجيهات متعددة من بينها ما يتعلق بالأسرة وأحكامها.

– ما تضمَّنته هذه القصَّة من جوانب أُسريَّة، يدخل أساسًا في باب الاعتبار الفكريّ والمنهجيّ المقصود قرآنيًا.

– الجوانبُ الأسرية في هذه القصَّة متوزعة بين الجانب النَّظري والتَّطبيقي، وتشمل البيت المسلم في تكوينه وحقوق أفراده وواجباتهم.

– قيم الأسرة المؤمنة تنبع أساسًا من مقتضيات الفطرة والإيمان بالله، ومن قُدرتها على ترجمة قيم العقيدة إلى واقعٍ سلوكي عملي، على طريق الدَّعوة والقدوة.

– هناك تشابهٌ كبيرٌ في الشُّروط المنهجيّة لتكوين الأسرة وأهدافها التربوية والاجتماعية في الشَّريعة الموسوية وشريعة الاسلام.

– تنمية الوعي الأسري في كلِّ مجتمع جزءٌ مهمّ في معركة التَّغيير العام، وسُنن التَّدافع والمداولة.

– التكامليَّة الأسريَّة تتبع التكامل في الإطار الجنسي (ذكر وأنثى)، والإطار الزَّوجي (زوج وزوجة وأولاد)، بلا استعلاء ولا تمييز، فلكلٍّ دورُه بحسب الخصائص الفطريّة المركبة فيه.

التَّوصِيات:

– يُوصِي الباحث بتدبّر سياقات قصص قرآنية أخرى واستخراج ما يتعلق بالقضايا الاجتماعية أو الأسرية أو السياسية وعدم الاكتفاء بالنظر إلى قضايا التوحيد والدعوة والمنهج فيها.

– ويُوصِي أيضًا بتفعيل النَّظرة القُرآنية لنظام الأسرة عن طريق عقد دوراتٍ تكوينيَّةٍ منتظمة تُعمّق في الأجيال تلك الخصوصيَّة التي تقوم عليها الأسرة في الإسلام وتنمي الوعي لديهم، وعدم الاكتفاء بالكتابات الإنشائية والوصفية له، سيَّما في ظل التَّحديات الرَّاهنة.

– كَمَا يُوصِي البَاحِث بِاستِغلَالِ تِلكَ الهَوَامِش التِي تُتيحها التقنية الحَدِيثَة ، وَمنهَا وَسَائِلُ الإِعلَامِ لإبراز وَتَصوِير وَتَرجَمة وتسويق النَّمُوذَج القُرآنِيّ للأسرة خَارِجِيًّا، وَأَنْ يُسهم الدُّعَاة في ذَلِك، ويواجهوا ويوجّهوا الْحُكُومَاتِ الْإِسلَامِيَّة فيما يتعلق بِمُشَارَكَتِهَا بمؤتمرات الأُسرة وَالطِّفْل أَو مؤتمرات السُّكَّان وَالتَّنمِيَة التِي تُعْقَدُ بَيْنَ الفَينَة والأخرى.

والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات

***

المصادر والمراجع:

١. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م، **الفتاوى الكبرى**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ١٤٢٢هـ، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.

٣. ابن حجر، أحمد بن علي، ١٣٧٩هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٨٤م، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر.

٥. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. ابن القيم، شمس الدين، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

٧. أبو جيب، سعدي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ط٢، دمشق: دار الفكر.

٨. أبو طالب، صوفي حسن،٢٠٠٧ م، **تاريخ النظم القانونية والاجتماعية**.

٩. البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله، ١٤٢٢هـ، **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، بيروت: دار طوق النجاة.

١٠. الحجاجي، حسن بن علي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، **الفكر التربوي عند ابن القيم**، ط١، دار حافظ للنشر والتوزيع.

١١. الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، ١٤٢٠هـ، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ط٣، بيروت: دار احياء التراث العربي.

١٢. الرازي، أحمد بن فارس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣. الزحيلي، وهبه بن مصطفى، **الفقه الاسلامي وأدلته**، ط٤، دمشق: دار الفكر.

١٤. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم، ١٤٠٧هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٥. الشَّافعي، محمد بن إدريس، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، **الأم**، بيروت: دار المعرفة

١٦. الشَّربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧. الشَّعراوي محمد متولي، ١٩٩٧م، **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، مطابع أخبار اليوم.

١٨. الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م تحقيق: حمدي السلفي، ط٢ القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

١٩. عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن ، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، دار الفضيلة.

٢٠. عمر، أحمد مختار، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة: عالم الكتب.

٢١. العيني، بدر الدين أبو محمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٢. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، بيروت: دار المعرفة.

٢٣. الفضل، منذر، ٢٠٠٥م، **تأريخ القانون**، ط٢، كوردستان :منشورات ثاراس.

٢٤. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م،

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.

٢٥. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**، تحقيق: ابراهيم بسيوني، ط٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٦. قُطب، سيد، ١٤١٢هـ، **في ظلال القرآن**، ط١٧، القاهرة: دار الشروق.

٢٧. القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ١٤١٢ هـ، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط١، بيروت: دار الجيل.

٢٨. مُسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المكتبة الشاملة.

٣٠. المناوي، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٣١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت.

٣٢. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، ١٩٩٥م، **معجم البلدان**، ط٢، بيروت: دار صادر.